مكتبة المقتطف

«شاعر وكتاب»

تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — صفحاته ٩٢ صفحة من قطع المقتطف

طبع بمطبعة الفاروقية الحديثة بمصر ١٩٥٠

رسالة صغيرة وضعها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس في كلية اللغة العربية، للتعريف بالأديب الشاعر النابغة «ابن سنان الخفاجي»، وبكتابه الفريد «سر الفصاحة».

تناول فيها شخصية الرجل القوية وموهبته الأدبية الممتازة وثقافته الواسعة في ستين صفحة. ودعا الأدباء في آخرها إلى العناية بهذا الرجل الفذ والأديب المتضلع. وقد تلونا هذه الرسالة، فأدركنا الجهد الكبير الذي أنفقه مؤلفها في التعريف بشاعر رصين، وناقد حصيف من أبناء القرن الخامس الهجري لم ينل حظه من الشهرة الأدبية. وكأن بينه وبين الحظ جفوة وعداء في الحياة وبعد الموت، كما يقول ابن سنان في جمال:

بيني وبين الحظ داجية عمياء لا نجم ولا سحر (ص ١٧)

ومع قلة مصاحبتنا للتراث القديم فقد جذبنا المؤلف جذباً للوقوف طويلاً لدى شخصية ابن سنان المتفردة، ونقده المتزن، وشعره البديع الذي لمست فيه أمنواه الأصالة.

فابن سنان، كما أبان المؤلف، رجل ذو إباء وترفع وطموح، لا يقول الشعر للتكسب كما كان يفعل جلّ شعراء التداحي، بل للوصول إلى الجاه والرفعة، وفي ذلك يقول لابن حمدان (ص ٢٦).

يظن العدى أني مدحتك للغنى وما الشعر عندي من كريم المكاسب
أعلي على نيل الكواكب في العلا فأنت الذي صيرتها من مطالبي

وابن سنان تجمعت فيه سمات الناقد المتزن الحصيف ، فهو كما يقول المؤلف (ص ٤١) « منصف في حكمه ، معتدل في نقده ، يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء ، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير ، ويرتب كل شيء على أساس العقل واستنتاجه » ومنهج هذا الأديب القديم الكبير في النقد ، يماثل المنهج العصري ، وهو جدير بالتأمل ، والاقتداء ، وأنه يبهرنا في بيان منهجه إذ يقول « إنا لا نسرع إلى نقض الفضلاء ، بل ننظر في أقوالهم ، ونتأمل المأثور عنهم ونسلط عليه صافي الذهن ، ونرهف له ماضي الفكر ، فما وجدناه موافقاً للبرهان وسليماً على السبر ، اعترفنا بفضيلة السبق فيه وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله ، وما خالف ذلك ، وباينه ، اجتهدنا في تأويله وإقامة المعاذير فيه وحملناه على أجمل وجوهه وأجمل سبله ، ايجاباً لحقهم الذي لا ينكر ، وإذعاناً لفضلهم الذي لا يجحد »

*

وشعر ابن سنان رقيق ، حلو الماء ، جزل البناء ، يمتاز كما يقول المؤلف (ص ٢٩) « بامتلاء المعاني والأفكار العقلية . وبقوته ، وجمال العاطفة فيه ، وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه » وقد أحسن المؤلف بإيراد نماذج من شعره ، ووعد بأفراد دراسة مستقلة لديوانه وقد لحظنا في النماذج القليلة التي أتى بها أصالة في صوره الشعرية خليقة بالاعتبار ومن ذلك قوله : (ص ٤٥) : —

وقد أتوك بين من حديثهم يكاد يضحك منه الجد والعجف

فضحك الجد والعجف من أقوال أعدائه الكاذبة ، صورة شعرية مبتكرة ، غير مسبوقة على ما نعلم .

وقوله في عتاب الأمير أبي الحسن بن منقذ ، (ص ٢٥) : —

ومسيري أدب في ظهر مجفاه تباري أعضاؤها بالهزال

يضم صورة مبتكرة للناقة المجفاه التي يركبها ، وكأنما تعافة أعضائها تتبارى مع الهزال .

ولقد خص المؤلف لكتاب « سر الفصاحة » احدى عشر صفحة ، لخص فيها آراء ابن سنان ، في فصاحة الألفاظ المفردة ، والألفاظ المؤلفة ، والمعاني والفرق بين الفصاحة والبلاغة وما الى ذلك من البحوث وذكر أن هذا الكتاب وهي كثيراً من الآراء الخاطئة في الأدب والنقد والبيان ، وأنه بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة فهو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية (ص ٤٠) ووعد في آخر رسالته نشر كتاب سر الفصاحة

مع صديقه الأستاذ حسن جاد فاعلمها يكونان قد قاما بذلك ليضما الى النثر البلاغي ، مصدراً من أقيم المصادر .

وأما ديوان ابن سناء ، فإنه يلقى اليوم ، من الأديب السوري اللامع الدكتور سامي الدهان ، أجل عناية في التحقيق والاخراج ، وهو جد جدير بالاضطلاع بهذا العمل الأدبي ، لبصره الحاذق في هذه الناحية .

ويبعث هذين الأثرين — كتاب سر الفصاحة ، والديوان لابن سناء ، تعيش بيننا سيرة عربي أديب طموح ، نفس عليه معاصروه طموحه ، ولقي حتفه على يد صديق حميم .

ولا يسعنا إلا تهنئة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي على رسالته الصغيرة ، وأن نبارك جهوده النشطة في إحياء تراثنا الأدبي النفيس . آملين من المسئولين ، الالتفات الى هذه الجهود ، ومعاونة صاحبها ، وتمكينه من اتقان عمله ، بالتنقيب عن هذا التراث المبثوث في المكتبات الاوربية المختلفة .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

١ — صور من حياتنا

الاستاذ محمد مجذوب — صفحاته ١٦١ صفحة — طبع بمطبعة الترقي بدمشق

زميلنا الأستاذ محمد مجذوب قد اجتذبته الحقيقة الفنية فصرفته عن واقع الحياة المرير ، ونقلته الى عالم آخر يعيش في أبراجه ، لا يبأ كيف تجري حياة الناس ، وكيف تصاريف الأقدار فيهم ، ولا بما تواضعوا عليه من الاعتراف بالواقع والوقائع ولا بما أملاه المدرسيون من تقاليد قد تصل بهم الى حد الجمود أحياناً . . ولكن لا بأس ، فالخروج على مواضعات الناس شيء مألوف في دنيا المجاذيب !!

وحسبنا من الأستاذ المجذوب أن يكون مخلصاً لفنه ، فيرسم طريقه في ضوء هذه الحقيقة الفنية التي تتخطى كل الحدود ، لتعبر عن خيال صاحبها وحسب ، غير عابئة في سبيل ذلك بحقائق التاريخ أو الاجتماع أو الطبائع البشرية .

ومن خلال هذه المدسة تتأمل موكب الحافل تتهادى فيه « صور من حياتنا » كما ينبغي أن تكون ، وقد تخير المؤلف من صور هذه الحياة المثالية عشرين صورة عرضها في ثوب قصصي أو مسرحي جذاب .

وقد قاس شخصياته على أنماط « المذبوح في الأرض » للدكتور طه حسين باشا ، فخرج من المقارنة بأن هذه وتلك تجري في حلبة واحدة .

بيد أن شخصيته تعيش في عالمه هو ، وتتصرف بوحيه هو ، وكأنه يملك زمامها فيحركها — أي بشاعر حركات آلية ، وهو بهذا يحررها من عالم الواقعية الجامد ، ليربطها إلى عجلة الفن ، ويضعها في قوالب تضيق بها أحياناً وتتسع أحياناً ، فهو لم يجردها من دائرة الواقع إلى الانطلاق والتحرر ، ولكنه نقلها من دائرة إلى دائرة . وشتان بين الانطلاق في سماء الحرية والتقيد في حدود مضروبة مفروضة ، فرق بين شخصية مثالية نشعر بتفوقها ، وتشعرك بالإعجاب بها أو العطف عليها أو الرثاء لها — وبين شخصية حيية (كالموديل) في معرض الأزياء . تلك ذات هدف مرسوم ، تتصرف به وله مهما يكن مغرقاً في الخيال ، فيملؤها هدفها حيوية دافقة ، ويمدها بالدم الفني الثائر ، النابض بالعواطف والانفعالات ، وهذه ملقاة في مهب الحوادث ، تنتظر أين تتجه لتجرفها في طريقها .

.. الأولى تقاوم عوامل الإغراء والضعف والوهن ، لتتفوق على ضرورات الحياة ، والثانية تكفيها اللمسة أو الاشارة من أصبع الحياة لتندفع إلى آخر الشوط .

وشخصيات الأستاذ « المجذوب » تجري في هذا المضمار المرسوم تتفاعل في داخلها العوامل الخفية المبهمة التي لا نشعر بها ، ثم تفاجئنا بالانحراف إلى هدف غير معين ، تضيع معه في غمار الناس ، وتعود إلى الحياة التي أراد المؤلف أن يميزها منها . وتتميز أطوار حياتها بالتحول المفاجئ عند نقطة معينة إلى الطريق الذي أراده المؤلف ، تتصرفها نوازع الخير والجمال بلا دواع ولا ممهدات ، إلا عواطف الخير التي تبرز فجأة ، وتطفو فتطرد أشباح الشر التي تنصرف سافرة طريدة بلا نضال ولا ضجة ولا مقاومة .

لكن طلاوة أسلوب الكاتب ، ورصانته وسلاسة حديثه جعلت من هذه الأقاصيص شيئاً ممتعاً حقاً يغري القارىء بمتابعة القراءة ، ويحمله على التأمل في هذه الصور حتى يخرج منها بالمغزى الذي وفق الكاتب إلى إبرازه وتلوينه بألوان عاطفية إنسانية كريمة .

لكن القارىء المصري سيحتاج أحياناً إلى قاموس سوري ليفهم بعض المسميات التي تختلف أسماؤها في البلدين ، كما سيقف — كما وقفت — عند بعض التعبيرات يستوقفها ما تحمل من معان ، ويعصرها عصراً ليستخرج منها المعاني التي تضمنها .

وسيدهش للعصوبة الصارخة في تفضيل بعض حروف الجر على بعضها الآخر ، كالباء التي تصحب كثيراً لتعني ما تعنيه (في) و (إلى) ، كذلك سيعثر ببعض الأخطاء اللغوية الشائعة التي لا يدركها إلا الفنيون أمثال الأستاذ « مجذوب »

وهذه الهنات كان لابد منها كالتوءمة لهذا المعرض القيم الذي تتجلى فيه صور من حياتنا

متتابعة منسقة في إبداع لا تستطيعه إلا يد فنّان واسع الأفق ، متيقظ الحس ، ذي بصيرة نفاذة .

وحسب القارىء أن يجد في هذا الكتاب ما يشبع فضوله بالتعمق في صميم الحياة وأن يكشف عن خفاياها المضطرمة في نفوس الأحياء ، أثناء جولاته الموفقة في متحف المؤلف القدير .

٢ — وحي الأمومة

بقلم السيدة روز عطا الله شحفة صفحاته ٢١٨ من قطع المقتطف — طبع مطبعة صادر ريحاني ببيروت

لاحديث للناس اليوم إلا هذه المظاهرات التي شنتها المرأة المصرية على حكومة مصر وبرلمانها ، وعن هذا الانذار المسلح الذي وجهته للمسئولين ، وستظل مصر — صحافتها وهيئاتها وأنديتها — تتحدث طويلا ، وتتناول هذه الحركة بالأساليب المختلفة التي تمثل آراء أصحابها حول قضية المرأة ، وفيهم الساخر والمتحامل والمتفائم ، وفيهم المناصر والمحايد والمتفائل.

ولقد ارتفعت هذه الاصوات الناعمة بشديد الحرية ، وهذه الأيدي الناعمة قد ألقت القفاز في وجه المسئولين تتحدى !!

وبقي أن ننتظر حكم الحوادث ، بعد أن انفجرت هذه القنبلة المعطرة ، فتجاوبت أصداؤها في أنحاء العالم .

هذه الصيحة المدوية في مصر ، يجاوبها صوت آخر من ربوع لبنان . بلد الجمال والحرية !!

صوت حنون ! لأنه صوت أم تسامت أمومتها ، فوسعت أبناءها ، ثم أبناء وطنها ، ثم أبناء أمتها ، ثم بني الانسانية أجمعين لكنه — إلى ذلك — صوت مجلجل ، لأنه صوت الحق ، عتيد ، لأنه صيحة الأيمان ، جريء ، لأنه صرامير الحرية ، مبين ! لأنه ذخيرة الحياة المثالية للأمة العربية ممثلة في فتياتها وفتياتها ، ونشئها وفسلها . ممثلة في الأساس الجديد لعالم الغد المنشود .

وعلى ما في الحركة النسائية العربية من زيف وبهرج ، فان السيدة « روز عطا الله شحفة » صاحبة هذا السفر ، قد ترفعت عن التهريج وتسامت إلى أن تكون داعية حق ، يبشر بنصيب المرأة الكامل في الحياة .

وسبيلها أن تأخذ بيد المرأة العربية لتضعها على موطن الضعف في نفسها ، وسبب التأخر في بيئتها ، والجمود في عقليتها — قبل أن تأخذ بتلابيب الرجل ليعترف بأن المرأة قد انقلبت فجأة إلى بطل أسطوري يستطيع ما عجز عنه فحول السياسة والاقتصاد والاجتماع. ولابد لكل منصف أن يوافق السيدة « روز » في الوسيلة إلى هدف المرأة العربية ، فقد علمنا واقع الحياة أن الحقوق لا تستجدى ولكنها تؤخذ ، وأن حقوق المرأة ليست متاعاً أو مغانم ولكنها تبعات جسام ، تنوء بها كواهل الرجال

فشاركة المرأة فيها معناها قيامها بنصيبها من أعباء الحياة وهمومها ، والصبر على ممارسة أقسى محنها وتجاربها .

والرجل — في الحق — لا يعارض هذه المشاركة ، ولكنه يتباطأ مع الطبيعة البشرية الضنينة بكل مسئول مهما يبلغ من الهوان .

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا — إذا قيل هاتوا — أن يملوا ويمنعوا

وسبيل المرأة — التي لا محيد عنها — إلى نيل ما تدعوه حقوقاً ، ونسميه نحن أعباء — أن تحصن نفسها بالثقافة الواسعة ، والاطلاع المثمر والتمرس بالأعباء الجدية لحياة الأمة ، والتسلح بالخلق الكامل والمثالية العالية ، فما تقود المرأة إلا قيود وهمية ، تتحطم من تلقاء نفسها إذا قويت شخصية المرأة وعمت مداركها واتسعت آفاقها ، وقوة المرأة لا تستمد ، ولكنها تنبعث من داخلها ، فتمهدها المركز المنشود في الحياة ، وما دام التطور سنة الحياة ، والبقاء فيها للأصلح ، فسيتوسل إليها الرجل — يومئذ — أن تتسلم زمام القافلة ، وتقود الحضارة ، ما دام مطمئناً إلى أنها لن تقودها إلى الهاوية .

وللثقافة حكمها الفاصل في هذه القضية ، فهي من رائدات النهضة النسوية التي تهدف إلى مشاركة الرجل مشاركة فعالة ، في احتمال أعباء المجتمع والكفاح في سبيل إسعاده .

وهي من طراز نادر في المرأة العربية ، يجيء ترتيبها في الصف الأول من زعيمات الجيل ، أمثال الزعيمة الراحلة « هدى هانم شعراوي » زعيمة النهضة النسائية المصرية ، والكاتبة النابغة « مي » .

ثم هي نسيج وحدها في جهادها ودعوتها إلى حرية كريمة غير مندفعة ولا متهورة . . إلى نهضة مباركة متئدة ، تقوم على أساس من قوة إيمان المرأة بواجبها ، داخل البيت أولاً ، ثم منبعثة خارج البيت مسلحة بقوة الخلق ، وقوة الشخصية ، وقوة العزيمة .

فإذا كان للمرأة العربية دور في النهضة الوليدة ، فمن هنا تكون البداية . . من حيث

تلتمس أشعة الفجر الجديد ! !

وكتاب « وحي الأمومة » يجيء في حينه ليصنع دستور المرأة العربية الحديثة في كلمات :

« فهي تكره الرجل الذي يوجس منه الرجل شرًّا .. وتمقت الوهن الذي يحمل عقول المغاليات بأنوثتهن .. »

« كما أن عليها مسئولية عظمى عندما تأتي الزواج ، فلا يهمها من الزوج اسمه ولقبه وما يسرها من جماله وغناه ، بل لتنظر لمرمى أبعد .. لتنظر لمستقبل بلادها الموضوع بين يديها فالشعوب إما أن ترتقي أو تضمحل أمام مذبح الزواج المقدس » .

« الأم ركن من أركان الحضارة ، ولها الحق في تنشئة الطفل وبث المثل العليا في نفسه ، وهذا ما ينبغي أن تفهمه كل فتاة » .

ثم ليوجه المرأة العربية إلى نقطة البداية :

« أيتها السيدات الحكيمات ، حاملات المصابيح المشعة نوراً ، السائرات بعملكن دون ضوضاء .. أرى أثر الانتصار على التقاليد بثباتكن وعزمكن الذي لم يزعزعه داع من دواعي التفرقة .. أنتن إلى النهاية مؤمنات . لتقدمن لبلادكن دعامة إنسانية سامية » .

وكذلك تمضي السيدة الجليلة حاملة مشعل الحرية الوهاج لبنات جنسها في طريق الحياة الوعر المظلم الشاق ، حتى تؤمنهن عثرات الحياة ، ومتاهات البيداء .

من هذا كان الكتاب سجلا للإصلاح كما تتصوره امرأة مثقفة ، وهو عرض طريف لمشاكل الأمة العربية ، ولذا فهو جدير باطلاع كل فتاة تنشد الثقافة وتبغي الاصلاح ، جدير كذلك بأن تتدبر كل فتاة ، وكل سيدة وكل أم في البلاد العربية ما حواه من آراء ناضجة وأفكار جريئة ، إن لم تحل مشاكلنا ، فقد يساعدنا في طريق الحل ، وجدير أيضاً بعناية المشتغلين بشئون الاجتماع في الأمة العربية ، وتربية الجيل الجديد لبناء نهضتها :

وهو موضوعات متفرقة في شئون الحياة عامة ، إلا أنه متسلسق الترتيب ، كما تنسجم الأنغام المختلفة لتؤلف أعذب الألحان . ولم يقتصر الكتاب على النسويات بل تناول شتى الموضوعات الأدبية والعلمية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية ، تعالجها بأسلوب الأديب المتمكن ، وروح الفيلسوف الهادىء الرزين .

رضوان ابراهيم مصطفى

[المقتطف] يهنيء الكاتبة الفاضلة بكتابها النفيس ويرجو لها اطراد التوفيق والنجاح في توجيه بنات جنسها وينصح لكتابها « وحي الأمومة » بما يستحقه من ذيوع وانتشار .

العاصفة — للشاعر وليم شكسبير

تعريب الاستاذ محمد عوض ابراهيم بك — صفحاتها ١١٥ صفحة — طبعت بمطبعة دار المعارف بمصر

لعلي لا أكون مغالياً أو متحيزاً إذا قلت إن الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك أول رجل في الشرق العربي يضرب بسهم وافر في هذه الناحية الشائكة من التأليف.

نعوض بك من هؤلاء الرجال الذين أوتوا مقدرة على صوغ العبارات المتزنة المحبوكة في الترجمة التي لا يزه فيها واحد من اولئك الذين يدعون في كل يوم أن لهم مقدرة على فهم التعريب وباعاً في الترجمة، وكتب هذا الرجل خير شاهد له على تضلعه في هذه الناحية وتفوق في هذا الميدان الذي هو فيه الفارس المغوار، وأقرب دليل على قوة هذا الرجل هذه المسرحية التي عرّبها الشاعر الفذ وليم شكسبير فقد بذل فيها عوض بك جهده في سبيل اخراجها في هذا الثوب الجميل الذي زها بحسن وشيه واختال بما خلعه عليه من رسوم ونقوش.

فالمسرحية تمثل حقبة من أخطر الحقب في تاريخ دوق ميلان الذي كان عاكفاً على دراسات عقلية، منشغلاً بها عن الحكم الذي استبد به اخوه واستعان عليه بملك نابولي الذي أصبح ابنه فيما بعد صهراً لدوق ميلان الذي حملته الرياح وصيرته الى جزيرة نائية بيد اخيه المستأثر بالسلطة المتمتع بالسلطان الذي دارت عليه الدائرة بعد .. وأصبح في حالة من الشقاء لا توصف وهو يتجول في أنحاء الجزيرة التي اعمل اخوه المخلوع سحره فيها حتى جنحت السفينة اليها تحمل ذلك المستبد وملك نابولي وأخوه وابنه ...

وهكذا يمشي المعرّب نصف به هذه العواصف الطوح التي يتزلزل من هولها قلم كل كاتب جبار .. ولكن عوض بك يمضي في هذه المسرحية على نسق لم نعهده في جميع الذين ترجموا لهذا الشاعر .. إذ لم يتعد المترجم في ترجمته الأصل مع ما فيه من تعقيد ونقاط يحسن بالمعرب أن يتحرز عنها، حتى يتفادى تلك الكبوات التي تتولد من هذا الأصل المعقد الذي مشى عليه المترجم لا يفارق اتزانه ولا يفلت من يده هذا النغم الذي أشجى به عوض بك كل مطالع لروايته وبحوثه في هذه الناحية التي تدين له بما بذل فيها من جهد، وما ضحى في سبيلها من مال ووقت ..

وأنه لا أخال المطالع لمسرحية « العاصفة » الخالدة التي ترجمها الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك إلا معجباً ومثنياً على جهاد الأستاذ ... في هذا اللون من الوان التأليف الذي لا يزال صحراء قاحلة لا يستطيع ارتيادها الا أمثال هذا الرجل الذي لا يزال على طول ما عمل في ميادين العمل . وما جاهد في دور التعليم، يجد لذة في البحث، ويبادئه توفيقاً في مختلف الميادين.

أبو طالب زيان